الرادار أمسكني ثلاث مرات في دبي وأبو ظبي. هذه ستكون المرات القليلة التي سأدفع فيها غرامة الرادار وأنا سعيد. هل أنت بخير؟

أشرق وجهها بابتسامة عريضة أزالت جانباً من شحوبه، وقالت:

ـ أنا بخير يا حبيبي، لقد اشتقتُ إليك كثيراً.

قبّلها على خديها وجبهتها، وضع الوردة الحمراء في الكأس التي على طاولة السرير وقال:

ـ أين هو؟

قالت وهي تشير إلى طفلها بلفافته الزرقاء:

ـ أليس جميلاً؟... إنه يشبهك، حبيبي. سألوني إذا أردت أن يختنوه اليوم أو أنتظر حتى يكبر. لم أجاوبهم، أردت أن أستشيرك... ماذا تقول؟

اندمج الزوجان في حديث حنون هامس. أرادت الأم أن تقول شيئاً، ولكن «جمال» سحبها وأخته، وخرجوا جميعاً من الحجرة الصغيرة وأغلقوا الباب وراءهم.

قصتان

محمد حسن الحربي*

يسر كثيراً عند سماعه الناس

يسرّ كثيراً عند سماعه الناس يقولون إنه الرجل الذي جمع المجدَ من أطرافه: مالاً وزوجةً جميلة ووجاهةً اجتماعية نافذة. ما يريده يناله بإشارة، دائم المشغولية؛ وزوجته تأخذ تفكيره: ما إن يخرج من المنزل حتى يترك لها مبلغاً من المال على طاولة الطعام للتسوّق اليومي، وما إن يدخله حتى يفاجئها بخاتم من السوليتير أو عقدٍ من اللؤلؤ، أو ساعةٍ مطعّمة بأحجار نادرة، أو بماسةٍ سداسيّة برّاقة.

في كل صيف لها جزء بارد من الكرة الأرضية تنتقل إليه: تحطّ أينما تشاء، وتطير الى ما يطيب لها وتهواه. في كل شتاء لها جزء دافئ من الكرة الأرضية تنتقل إليه: تحطّ في شمس فاترة، وتطير الى هواء منعش. لها مَنْ يخدم يديها، ورجليها، ووجهها، وعندها مَنْ يمتهن إدخال السرور الى نفسها فتسعد وتتثاءب فتنام، وحولها مَنْ يتسابق الى إيقاظها بأجمل الألحان عند الضحى.

دَيْدَنُهُ التفنّن بمفاجأتها بكل جديد وممتع: مرةً يغزل لها من خيوط الضوء أغنيةً، ومرةً يفاجئها بطيب يرتعش لنفحاته فضاءُ المكان، ومرة يُسمعها أنغامَ الطيور الولهى، ومرةً رابعة يُخرج لها القمر من الماء، ويُنزل لها من السماء مدناً حلميّة فيها جوارٍ يمتهنّ الوصافة وأشياءَ القلب الصغيرة. لديه أمرُ سعادتها من الأمور الكبيرة، فهو عاشق مدنف لا يرى سوى نفسه ملكاً على قلبها ويخشى الحسد.

عاد الى مخدعه فجأة، فشعر برائحة عرق، واشتمّ ارتباكها في العينين، وقبل أن يصل خنجره الى قلبها العطش، قبّلتْ يده بشفتين مرتعشتين، قائلة: «هذه هداياك، احتجتك في هذه الليلة الباردة منذ عشرين سنة».

اضطرب الرجل وهو يرفع جثة القطة

اضطرب الرجل وهو يرفع جثّة القطّة المدهوسة المدمّاة من الشارع. دفنها في بقعة رمليّة بالقرب من منزله، ولم يتناول يومها طعام الغداء مع عائلته كالمعتاد.

فعل الشيء نفسه يوم مات العصفور داخل قفصه بجانب باب المجلس، بسبب ظرف غامض. يومها أخذه الى الطبيب طالباً تشريحَ جثته للتأكد من سبب موته المحزن. وفعل الشيء نفسه يوم سمع من الأطفال في الحيّ بطائر «اللوهة» المختنق تحت أحد القوارب في الميناء القريب من مكان سكناه، يومها حمل جثّة الطائر الرطبة الى رئيس لجنة حماية البيئة في المدينة، الذي أقنعه بأنه مات بسبب هرَمه وضعف جسمه لا بسبب التلوّث أو بفعل فاعل. أصرّ في المقابلة على قبول ما في جيبه من نقود على سبيل التبرّع، وسجّل اسمه كمتطوّع دائم وعضو في لجنة حماية البيئة.

ومن رقّته كان يبكي أثناء نومه في الليل، ولوداعته كان أطفال الحيّ يتحلّقون حوله، يشكون اليه سوء معاملة آبائهم وأمهاتهم لهم، فكان يزورهم في بيوتهم ليقرّعهم بشدّة، وكانوا يتقبّلون منه هذا السلوك الإنساني بابتسامة، ويعتذرون له بصدق حميمي.

زوجة سعيد كانت الوحيدة التي تبدي عدم محبّتها له، وهو ما جعل الناس يستغربون ذلك منها، ويتهمونها بعدم الإخلاص وقسوة القلب مع رجل ترتبك قدماه في مسيره خشية أن يطأ نملة أو زاحفة تسعى.

يبدأ سعيد (أبو حمد) عمله بعد منتصف الليل وينتهي في ساعات الفجر الأولى، ويعود الى منزله منهكاً.

كانت مهمته زيارة البيوت الآمنة، يسحب شبابها الى غرف التعذيب حتى الموت!

---

* ـ صحفي، ومن رواد كتّاب القصة في الإمارات.